



## لا كبير الا الجمل

هل هي مشكلة ثقافة سياسية تتسم بتغليب الخطر الخارجي على الهم الداخلي، ام هي النزعة الدائمة الى التفكير بواسطة الاعصاب؟ اياً يكن السبب، ان اشكالية "المهانة العربية" او "الذل الوطني" التي اثرت بعد نشر الصور عن اعتقال صدام حسين من شأنها تضيق فرصة كبيرة توفرها هذه النهاية البائسة لاطلاق ورشة تفكير حول معنى السياسة في البلدان العربية.

ولعل اهم ما يستدل به من صيحات الالم (المصطنعة؟) التي اثارها القبض على صدام في اكثر من بلد، هو ان مصيره لا يعني فقط العراقيين. طبعاً، ثمة اولوية لهؤلاء العراقيين ولما ستمثله الصفحة الجديدة بالنسبة اليهم، سلباً وايجاباً. ولا يجوز الاستهانة تحديداً بما قد يترتب عن محاكمة الرئيس المخلوع من مفاعيل ضمن المجتمع العراقي، سواء أكانت سياسية أم طائفية أم... نفسية. لكن الواضح ايضاً ان سقوط ديكتاتور عربي لا يخص فقط من تحملوا مباشرة تجاوزاته، بل يقول الكثير لمن يعاني تجاوزات غيره من الحكام.

لهؤلاء، اي لنا العرب جميعاً، مهما اختلفت ظروفنا، مهما اشتدت او هانت، يقول سقوط صدام ان "الاستثناء العربي" بدأ يزول، وان زمن "الثبات العربي" وسط بحر من التغييرات قد ولى، وان الانظمة العربية معرضة هي الاخرى للتهايوي اسوة بما حصل في العديد من دول العالم خلال ما سمي "مرحلة الانتقال الديمقراطي" في العقد الاخير من القرن العشرين. حينئذ، بدا ان كل الانظمة غير الديمقراطية في العالم قابلة للسقوط ما عدا الانظمة العربية الثابتة على حالها. وها هي الظروف تتبدل، وإن بفعل تدخل خارجي، فيأتي سقوط صدام لينبئنا بأن حتى السلطة المطلقة العربية لم تعد تدوم.

انه درس موجّه اولاً، وقبل اي كان، الى المواطنين العرب في كل المجتمعات. والدرس درسان. فبالاضافة الى ان تحمل سطوبة الرؤساء مدى الحياة لم يعد قدراً عربياً محتوماً، ثمة خلاصة اخرى لا تقل اهمية، الا وهي انه لا يمكن بعد اليوم اقامة تماهٍ بين القادة والمواطنين الا بمقدار ما يتماهى القادة انفسهم بمن يقودون. فاذا فعلوا، ورغم ذلك أسقطوا، جاز الشعور بالذل وجازت الرغبة في الانتقام. اما اذا بقوا على ما عهدناه فيهم من نزوع الى مصادرة فكر المواطنين والتلاعب بارواحهم، ففي هذه الحال لن تجوز الا السماتة، وخصوصاً بعدما اندروا، وايمانذار، بسابقة صدام.

انه الدرس الآخر من اعتقال صدام، درس بمثابة الانذار الى كل زملائه في النظام الاقليمي العربي، وان بدت ارتكاباتهم اقل هولاً من شناعاته. صحيح انهم لن يقرّوا علناً بانهم معنيون، على غرار ما فعل "البعث" المتبقي في دمشق بعد تهايوي فرعه البغدادي، ولا يزال يحاول الايحاء به مسؤولوه بالقول مثلاً ان سوريا ليست العراق. بالفعل، ليست سوريا مثل العراق، ولا ليبيا هي بلاد الرافدين، ولا مصر ولا السعودية ولا لبنان.

لكن القيمين على هذه الدول وعلى غيرها من المحيط الى الخليج، اذا كانوا يستطيعون المكابرة امام الجمهور، فانهم لن يجدوا مصلحة في ان يكذبوا على انفسهم. لم يرتكبوا جرائم حرب، الا ان سابقة صدام، وخصوصاً اذا جرت محاكمته علناً، سوف تذكرهم بانهم معرضون للمحاكمة بتهم اخرى، وعلى الاقل لانهم يقبلون بممارسة التعذيب على اراضيهم، وهي للتذكير ممارسة تعد من الجرائم



ضد الانسانية. وحتى قبل ذلك، كيف لا ينتبهون الى ان سبيلهم الوحيد الى الخروج من المرحلة "الصدامية" باقل ضرر ممكن، يكون بالتغيير، اكبر مقدار من التغيير؟ كيف لا يدركون ان تغيير جلدهم هو الوسيلة الفضلى لتبقى الرؤوس في منأى عن التغيير؟

يبقى ان الانذار الذي يطلقه القبض على صدام لا يعني فقط العرب، بل ايضاً "المستعربين"، وتحديداً تلك الادارة الاميركية التي اسقطت الديكتاتور العراقي ولاحقته حتى اعتقاله. انه انذار لها بالا تتصرف مع العرب كأنها سلطة عربية مطلقة، ولا بالتأكيد سلطة استعمارية. فالعرب الذين يعرفون عن خبرة ان الاستعمار يؤول الى زوال، باتوا يعرفون الآن، بعد سقوط صدام، ان اعنى السلطات قابلة للخلع، فأمكنهم تذكر مثلهم الشائع الذي يؤكد ان لا كبير الا الجمل.

**سمير قصير**



<b>Id-Reference</b>	<b>03-Pr-000715</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		لا كبير الا الجمل
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		
<b>Date</b>		٢٠٠٣/١٢/١٩ 19/12/2003
<b>Author</b>		سمير قصير
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	صدام.حسين
	<b>Locations</b>	عراق - سوريا - ليبيا - سعودية - مصر - لبنان - اميركا
	<b>Dates</b>	
	<b>Themes</b>	عرب - عراق - اعتقال.صدام.حسين - ديموقراطية - نظام.اقليمي.عربي - اهانة.عربية - محاكمة.رئيس.مخلوع - حزب.بعث.عراقي - سقوط.ديكتاتور.عربي - جرائم.حرب - محاكمة.صدام - مرحلة.صدامية - صدام.حسين - سقوط.صدام - أنظمة.عربية - استعمار - خليج.عربي
<b>Subject</b>		